المتكلم والمخاطب ودورهما النحوي عند السهيلي في "الأمالي"[1]

دكتور/ مفلح زابن هادي القحطاني
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد

المستخلص:
تتمثل فكرة هذا البحث في توضيح العلاقة بين المتكلم والمخاطب في كتاب "أمالي السهيلي"، ورصد أثر ذلك في توجيه الإعراب أو بناء التراكيب على نحو معين، ويشتمل البحث على تمهيد موجز حول السهيلي وكتابه "الأمالي"، بالإضافة إلى مبحثين تتلوهما خاتمة ثم فهرس المصادر والمراجع، ويتناول المبحث الأول المتكلم والمخاطب في الدرس اللغوي، ويأتي المبحث الثاني تحت عنوان "ملامح حضور المتكلم والمخاطب عند السهيلي في الأمالي"، وقد وصل البحث إلى عدد من النتائج من أهمها بروز حضور المتكلم والمخاطب عند السهيلي في "الأمالي"، وأن لقصد المتكلم أثره في توجيه الإعراب وبناء التراكيب، وتعدد الوجوه الإعرابية بتعدد قصد المتكلم، وأن المعنى ووضوحه محور العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وكذلك الحرص على تمكين المعنى وتأكيده وفي الوقت نفسه دفع التوهم وأمن اللبس.

الكلمات المفتاحية: المتكلم، المخاطب، السهيلي، أمالي السهيلي، السياق الخارجي، العناصر غير اللغوية

(١)هذا البحث مدعوم من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي بجامعة الملك خالد بالرقم ٤٢٣.

The Speaker and the Addressee and their Grammatical Role According to Al-Suhaili in "Al-Amali"

Dr. Mufleh Zabin Hadi Al-Qahtani

Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature - College of Human Sciences, King Khalid University

Summary:

The idea of this research is to clarify the relationship between the speaker and the addressee in the book "Amali Al-Suhaili", and monitor the effect of this in directing parsing or building compositions in a specific way. The research includes a brief introduction about Al-Suhaili and his book "Amali", in addition to two sections followed by a conclusion and then an index of sources. and references. The first section deals with the speaker and the addressee in the linguistic lesson, and the second section comes under the title "Features of the presence of the speaker and the addressee according to Al-Suhayli in Al-Amali." The research reached a number of results, the most important of which is the emergence of the presence of the speaker and the addressee according to Al-Suhaili in "Al-Amali," and that the speaker's intention Its effect is in directing the parsing and building the structures, and the multiplicity of the syntactic aspects due to the multiplicity of the speaker's intentions, and that the meaning and its clarity are the focus of the relationship between the speaker and the addressee, as well as the keenness to enable and confirm the meaning and at the same time prevent illusion and avoid confusion.

Keywords: speaker, addressee, Al-Suhaili, Amali Al-Suhaili, external context, non-linguistic elements

مقدمة:

يتناول هذا البحث عنصرين مهمَّين من عناصر النص والسياق الخارجي غير اللغوي، ويتمثل هذان العنصران المهمان في المتكلم والمخاطب، وهما عنصران رئيسان فاعلان ومؤثران، ويشكلان اتجاهًا مهمًّا في مسار النص، ولهما تأثيرهما النحوي الذي ينعكس على بناء النص والتراكيب، ويساعد في توجيه الإعراب، ويتعلق بالدلالة التركيبية.

والمتكلم – بصفته المرسل –، والمخاطَب – بصفته المستقبل –، هما ركنان مُهمّان، يجب أخذهما في الحسبان عند التحليل اللغوي والنحوي؛ لأن لحضورهما وللملابسات المحيطة بهذا الحضور دورًا واضحًا في تحليل النص وتوجيه إعرابه وفهم دلالته.

ويهدف هذا البحث "المتكلم والمخاطب ودورهما النحوي عند السهيلي في الأمالي"، إلى رصد حضور المتكلم والمخاطب في واحدة من أهم المدونات اللغوية العربية القديمة "الأمالي" لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ، ويشتمل هذا البحث على هذه المقدمة الموجزة وخاتمة وفهارس للمصادر والمراجع بالإضافة إلى المكونات الرئيسة الآتية:

- **تمهيد:**
  - السهيلي وكتاب "الأمالي".

ومبحثين يتمثلان في:

- المتكلم والمخاطب في الدرس اللغوي.
- "ملامح حضور المتكلم والمخاطب عند السهيلي في الأمالي".

ويسير هذا البحث في ضوء المنهج الوصفي، مع الاستقراء والتحليل[(١)]؛ لاستخلاص معالم حضور المتكلم والمخاطب في هذه المدونة، وكذلك أثر هذا الحضور في توجيه الإعراب، من خلال عرض المسائل التي فيها إشارة إلى المتكلم أو المخاطب والقضايا المتعلقة بهما مرتبة كما في الأمالي، مع التركيز على انعكاسات موقف المتكلم والمخاطب في القضايا اللغوية والنحوية المناقشة على بناء الجملة والإعراب وعلاقة ذلك بالدلالة التركيبية.

---

(١) لم أجد بحثًا عالج موضوع المتكلم والمخاطب عند السهيلي في الأمالي بشكل خاص، وهناك دراسات تناولت السهيلي نحويًا ولغويًا بوجه عام منها: أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، د.محمد إبراهيم البنا، دار البيان العربي، جدة – المملكة العربية السعودية، ودلالة الألفاظ في كتاب نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي، سيدي علي بن يوب، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، ١٤٣٥-١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ – ٢٠١٥م، والتعليل النحوي عند أبي القاسم السهيلي، سفيان بوزناق، مجلة جسور المعرفة، الجزائر، المجلد٤ العدد١، ونظرية العامل وتطبيقاتها عند أبي القاسم السهيلي، فاطمة رزاق، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد ٦ / ٢٠٠٩م، وتقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه نتائج الفكر في النحو في ضوء علم اللغة الحديث دراسة تأصيلية، ويزة أعراب، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م، ومن أعلام الأندلس السهيلي وكتابه نتائج الفكر، د.محمد زهار، الأثر – مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد ٦، مايو ٢٠٠٧م، والأبعاد التداولية في نتائج الفكر والأمالي للسهيلي، عائض محمد القحطاني، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ١٤٤٢هـ.

حول أبي القاسم السهيلي وكتابه "الأمالي":

هو أبو القاسم وأبو زيد وأبو الحسن (عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن)، واسمه: أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وقيل هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، وهو عالمٌ باللغة وحافظ، وعالمٌ بالسير والقراءات والفقه والحديث والأصول والتاريخ(١).

ولد السهيلي في مالقة سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، وعمي بصره وعمره ١٧ سنة، فطلبه صاحب مراكش إليها وأكرمه، وظل بمراكش حتى توفي بها سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وكانت نسبته إلى وادٍ بالأندلس يسمى "سُهيل" من كورة مالقة التي هي قرية بالقرب من مالقة، سُميت باسم الكوكب، وذلك أنه لا يُرى في بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها(٢).

وقد تلمذ السهيلي لعدد من العلماء البارزين، وكان من أبرز شيوخه الذين أثّروا فيه تأثيرًا واضحًا أبو الحسين بن الطراوة، وأبو بكر بن العربي، وأبو القاسم بن الرمّاك – وهو من تلاميذ ابن الطراوة – وغيرهم، وكان من تلاميذه أبو علي الشلوبين، وأبو الخطاب عمر بن الحسن (ابن دحية)، وأبو علي الرندي(٣)، وكان السهيلي شاعرًا، ومن قصائده هذه القصيدة المتداولة والمشهورة ومطلعها:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقعُ

يا من يُرَجّى للشدائد كلها يا من إليه المُشتكى والمفزعُ

وللسهيلي – رحمه الله – مؤلفاتٌ كثيرة في فروع علمية متنوعة، منها: الروض الأنف، والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، ونتائج الفكر، وشرح آية الوصية في الفرائض، ومسألة السر في عور الدجال، ومسألة رؤية الله عز وجل، وشرح الجمل، والأمالي.

وكتاب أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه هو أحد كتب السهيلي المهمة، وعنوانه – في الأساس المخطوط – هو "مسائل من إملاء الفقيه أبي القاسم بن أبي الحسن الخثعمي ثم السهيلي رحمه الله، وجله أجوبة في مسائل له، سأله عنها الفقيه

(١) ينظر: الأعلام ٣١٣/٣.
(٢) ينظر: وفيات الأعيان ٢٢٣/٢– ٢٢٤.
(٣) ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب ٢٣٠.

المحدث أبو إسحاق بن قرقول رحمة الله عليهما"، وقد رأى محقق الكتاب محمد إبراهيم البنا اختصار عنوانه إلى العنوان الآنف الذكر.

ويشتمل الكتاب على مائة وست وخمسين مسألة، تبدأ بمسألة فيما لا ينصرف من الأسماء، وتشمل هذه المسائل مسألة في كاف التشبيه، وأخرى في الجواب ببلى ونعم، وهذه المسائل الثلاث لم تُمْلَ على ابن قرقول، كما يشمل الكتاب أربعًا وسبعين مسألة هي أجوبة السهيلي على ابن قوقول، وتتناول جوانب لغوية ونحوية في الحديث الشريف بالإضافة إلى تسع وسبعين مسألة في الطلاق والأيمان اللازمة[1].

(١) ينظر: أمالي السهيلي (مقدمة المحقق ١٤- ١٥).

المبحث الأول: المتكلم والمخاطب في الدرس اللغوي:

عُني القدماء والمحدثون بطرفي الخطاب اللغوي (المتكلم والمخاطب)؛ حيث اهتم البلاغيون والمفسرون والأصوليون بهما، كما كانا محور اهتمام عند اللغويين القدماء، واهتمت اللسانيات الحديثة، وخصوصًا التداولية ولسانيات النص بهذين الطرفين؛ بصفتهما صانعَي الخطاب؛ حيث "يوجد –على الأقل– في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان، أي: المتكلم والمخاطب على التوالي"(١).

ويؤكد الاستقراء كما تؤكد الدراسات أن المتكلم والمخاطب كانا محورين مهمين عند النحاة القدماء ضمن سياق الحال، والأدلة على ذلك في كتبهم كثيرة، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن سياق الحال – ومنه المتكلم والمخاطب – كان محل اهتمامهم؛ ويرى أنهم أحسوا بأهمية سياق الحال في توجيه المعنى النحوي، وأنه "ليس من الدوال التكميلية، بل هو قرينة خارجية غير مقالية لا يكون الاستعمال اللغوي إلا بوجوده أو بوجود بعض عناصره، وأن النحاة لم يخضعوه للضبط والتجريد، وسبب ذلك هو أنهم أحسوا بأن سياق الحال مختلف ونسبي ويعتمد على التأمل"(٢).

وإذا ما نظرنا إلى كتاب سيبويه فسنجد اهتمامًا واضحًا بطرفي الخطاب، ومراعاة للمتكلم وللمخاطب، ويدور ذلك فيما يتعلق بالمتكلم في أربعة محاور، تتمثل في مراعاة استعمال المتكلم من حيث النطق والمشافهة وكثرة الاستعمال والطرق والسبل التي يلجأ إليها المتكلم وتكون أساسًا في تفسير الظواهر النحوية، ومراعاة قصد المتكلم وما يُبنى على ذلك من تفسيرات وأحكام وإعراب، وتوجيه المتكلم حيث إن سيبويه نجده مع المتكلم موجهًا ومرشدًا في مواضع من الكتاب بترديده عبارات (لا يجوز لك أن تقول) و(ينبغي أن تقول) و(لا يجوز أن تخلط من تعلم ولا تعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة) .... إلخ، ومراعاة حال المتكلم حيث يكون من المعوّل عليه الظن والعلم والغفلة والتراخي في الأحكام والتفسيرات، والأمر كذلك بالنسبة إلى المخاطب الذي صرَّح به سيبويه بهذا اللفظ في مواطن كثيرة من كتابه بصفته العنصر السياقي الرئيس الذي يجعل بإمكان المتكلم استعمال أساليب مختلفة في التعبير وممارسة أعراف لغوية متعددة، اعتمادًا على فهم المخاطب وكذلك بناء الجمل وتكوين العناصر اللغوية بما يُفهم

(١) النص والسياق– استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ٢٥٨، وينظر: نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث ٨٥.
(٢) سياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي، ١٨٩.

المخاطب، وهذا يجسد اهتمام سيبويه بطرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب) على نحوٍ واضحٍ وبارز[١].

ومن قبل سيبويه اهتم الخليل بالمتكلم والمخاطب اهتمامًا بالغًا، وكانا حاضرين في تحليلاته وتفسيراته وأفكاره النحوية؛ حيث "شكل المتكلم والمخاطب لدى الخليل عنصرين رئيسين في سياق الكلام، وكيف يسهم كل منهما في بناء التركيب وفهم دلالته، وبذلك يلتقي معه علماء نحو النص الذين اعتبروا المتكلم والمخاطب من أهم عناصر سياق الموقف، كذلك اهتم الخليل بمسألة قصدية المتكلم، وأن مقصوده لابد أن يكون معلومًا لدى المخاطَب، كما اهتم بقبول المخاطَب للمنطوق اللغوي، وذلك من خلال إجازته استعمالًا ما ورفضه آخر... وكان الخليل يتعامل مع اللغة بوصفها منطوقًا لغويًّا وظاهرة اجتماعية، مراعيًا البعد التداولي لها، ذلك البعد الذي يُعنى بدراسة اللغة في ضوء المقام"[٢].

ولم يكن الخليل وسيبويه منفردين في الاهتمام بالمتكلم والمخاطب؛ فالنحاة الخالفون حفلت مدوناتهم بنصيب وافر من العناية بهذا الجانب على النحو الذي تناولته الدراسات التي أشرت إلى بعضها، وليس الهدف هنا التركيز على إثبات الاهتمام في النحو العربي بهذه الجوانب، وإنما حضورها في المدونة المراد دراستها على نحو خاص، وملامح هذا الحضور وبعض نتائجه[٣].

(١) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه – دراسة في النحو والدلالة ٦٨، ٦٩، ٧٨.

(٢) المتكلم والمخاطب في فكر الخليل: دراسة في نحو النص ١٦٩– ١٧٠.

(٣) يسيطر على بعض الدارسين هاجس إثبات وجود جذور قديمة لجانب لغوي معين في الدرس الحديث ويشغل حيزا كبيرا من البحث ويشغل عن القضية الأساسية، حيث "ظلت قراءة بعض الباحثين العرب للدراسات التراثية رهينة لتصورات معينة، بحثًا عن الوجود اللساني في الذاكرة العربية ونقاط التقاء الدراسات العربية مع البحث اللساني الحديث أو إخضاع ذلك التراث للبحث اللساني". اللغة العربية بين المنطوقة والمكتوبة ٢٢٨.

المبحث الثاني: ملامح حضور المتكلم والمخاطب عند السهيلي في الأمالي:

تجلى حضور المتكلم والمخاطب في أمالي السهيلي ومعالجاته وتفسيراته النحوية على نحو واضح، وقد جعل السهيلي المعنى محور هذه العلاقة بين الطرفين، وفي ذلك يرى في أولى مسائل كتابه "الأمالي"، وهي "مسألة فيما لا ينصرف من الأسماء"، أن التنوين علامة انفصال الاسم وعدم إضافته إلى ما بعده، وليس التنوين عنده علامة تمكن، يقول: "وليس دخول التنوين في الأسماء علامة للتمكن كما ظنه قوم، فإن العرب **لا تريد أن تُشعر المخاطب بتمكن اسم، ولا أيضًا التمكن معنى تحتاج إلى بيانه وإعلام المخاطب به** ... ومما يدل على أن التنوين ليس هو علامة للتمكن، وإنما هو علامة للانفصال قولهم: حينئذٍ ويومئذٍ؛ فنوّنوا لمّا أرادوا فصل إذ عن الجملة، وتركوا التنوين حين قالوا : إذ زيدٌ قائمٌ لمّا أضافوا الظرف إلى الجملة، وليس في الدنيا اسمٌ أقل تمكناً من إذ، ولا أشبه منها بالحرف..."[(١)].

ومع اختلاف آراء النحاة في كون التنوين علامة تمكن للاسم أو لا[(٢)]؛ فإنه يتضح من نص السهيلي السابق أمران:

الأول: تكامل العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وأن المتكلم يجعل في ذهنه مراعاة المخاطَب، وتقديم عناصر تتضافر في تحقيق الإفادة.

الثاني: أن محور العلاقة بين المتكلم والمخاطب المعنى وما يؤدي إليه أو يساعد في توضيحه، بعيدًا عن الجوانب الشكلية أو الصناعية أو الوضعية؛ ولذا لم يكن التمكن معنى يحتاج من المتكلم إلى بيان ومن المخاطب إلى إعلامه به كما ذكر السهيلي في هذه المسألة.

ويكمل السهيلي الحديث في السياق نفسه؛ إذ يذكر أنهم لا ينونون المضمر ولا المبهم ولا ما فيه الألف واللام؛ لعدم وجود وهم الإضافة، ومن هنا تزول الحاجة إلى التنوين، ومثل ذلك عنده عدم تنوينهم الفعل لاتصاله بالفاعل، وأنه كالجزء منه، وكذلك عدم تنوينهم الحروف وما شابهها من الأسماء لزوال الوهم أو عدم وجوده[(٣)]، ويتابع: "وإذا صحت هذه المقدمة، فحكم الأسماء الأعلام كحكم سائر المعارف في استغنائه عن

(١) أمالي السهيلي ٢٥.

(٢) أشير هنا إلى أنه ليس من منهج هذا البحث التفصيل في تحليل الخلاف النحوي في المسائل الواردة ما لم يكن له انعكاس واضح على البحث؛ لأن المحور حضور المتكلم والمخاطب.

(٣) ينظر: أمالي السهيلي ٢٦.

التنوين، **لأنه لا يُخشى على المخاطب أن يتوهم** العلم مضافًا إلى ما بعده **كما يتوهم النكرة إذا لم تنوَّن**، فإذا نُوِّنَتْ عُلم أنها غير مضافة، والعلم ليس كذلك"(١).

وهنا يجعل السهيلي الفائدة من الكلام ووضوح الدلالة وعدم وجود وهم أو لبس قد يؤدي إلى فهم غير المقصود معايير أساسية ومحورًا للعلاقة بين المتكلم والمخاطب بما يحقق سلامة الاتصال، وبما يؤكد ما يراه الدارسون من "أن السهيلي كان نظّارًا في اللغة، باحثًا عن خصائصها وأسرارها، ولذلك امتاز نحوه بكثير من الاستدراكات والتقييدات"(٢).

ويبقى وضوح المعنى ورفع التوهم ودفعه هاجس المتكلم عند السهيلي؛ لئلا يلتبس الأمر عند المخاطب، يقول: "متى عُدم التنوين في شيء من هذه الأسماء لم يستقم بقاء الخفض **لئلا يُتوهم** أنه مضافٌ إلى ضمير المتكلم، لو قلت: مررت بأحمرِ، بالخفض، بلا تنوين، أو بظرفاءِ أو بعمرِ، **لتُوهم إضافته إلى ضمير النفس**، لاسيما وأكثرهم يكتفي بالكسرة من الياء، وهو في القرآن كثير نحو: نكيرِ، ونذيرِ"(٣).

وهنا يحرص المتكلم على الدقة في كلامه لئلا يتوهم غير المقصود، ولو كان ذلك على وجه لغوي أقل شيوعًا كالاكتفاء بالكسرة عن الياء، ويؤكد ضرورة دقة المتكلم في بيان قصده لتتم عملية التواصل، وذلك من خلال ذكر السهيلي موضع التوهم وإزالته، لتتم عملية التواصل على النحو المطلوب، أما إذا توهم المخاطب معنًى آخر أو وجهًا مختلفًا للكلام؛ فإن ذلك يؤدي إلى فشل الاتصال(٤).

وقد **زال التباس إضافة العدد المعدول نحو ثُلاثَ ورُباعَ؛ فأصبح لا معنى لتنوينه**، هكذا يرى السهيلي(٥) علة ذلك، **وحين يزول اللبس يتحقق الإفهام** الذي يشكل الحد الأدنى من التواصل الذي يسهم فيه المتكلم والمخاطب، ويذكر الجاحظ أنه سمع أبا مسلم الخراساني يقول: سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: "يكفي من حظ البلاغة ألا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"(٦).

ويولي السهيلي قصد المتكلم اهتمامًا مرتبطًا بسياق الموقف؛ إذ ينص على أنه لا يمتنع "أن يجاب بنعم بعد الاستفهام من النفي، لا تريد تصديق النفي، ولكن **تحقيق**

(١) أمالي السهيلي ٢٦.
(٢) أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، ٤٠٥.
(٣) أمالي السهيلي ٢٩، ونكير هنا من قوله تعالى في سورة سبأ آية ٤٥ (فكيف كان نكير) ونذير من قوله تعالى في سورة الملك آية ١٧ (فستعلمون كيف نذير).
(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص ٩٦- ٩٨.
(٥) ينظر: أمالي السهيلي ٣٧.
(٦) ينظر: البيان والتبيين ١/ ٨٧.

الإيجاب الذي في نفس المتكلم لأن المتكلم إذا قال لمن رآه يشرب الخمر منكرًا عليه: أليست الخمر حرامًا؟ **لم يستفهمه في الحقيقة، وإنما أراد تقريره أو توبيخه، وفهم مراده في ذلك**... فلما **فهم مراده وأنه يعتقد التحريم** جاز أن يجاب بنعم تصديقًا لمعتقده دون التفات إلى لفظ النفي، لأنه ليس بنافٍ في الحقيقة، إلا أن أكثر العرب على غير هذا، يرون مراعاة اللفظ أولى، لأنه الظاهر المسموع، وبه نطق القرآن.."[١].

ونص السهيلي السابق يدل على أمور:

١- أن المعوّل عليه قصد المتكلم.

٢- أن فهم مُراد المتكلم هو الذي يتيح للمخاطب الرد على نحوٍ معين.

٣- أن جواز الوجه مرهونٌ بزوال اللبس.

وحالة المتكلم لها عند السهيلي قيمتها وانعكاسها؛ حيث يرى أن المستفهم عن الخبر (المتكلم) حين يكون **شاكاً ومترددًا** بين نفيه وإثباته فحقه إدخال ألف الاستفهام على لفظ الإثبات ثم العطف عليه نحو: أقام زيدٌ أم لم يقم؟ أما **إذا كان المتكلم مُنكرًا فإنه يعدل عن هذا التركيب** بإدخال حرف الاستفهام على علامة النفي، كأن يُقال للعاصي: أليس الله يراك، **لا على سبيل الاستفهام، وإنما على سبيل التقرير والترهيب**[٢].

ويبقى وجود اللبس مانعًا عند السهيلي من إجازة بعض التراكيب يقول في (مسألة في وصف المذكر بمؤنثه) في حديثه عن (على حمار أتان): "وأما من رواه بغير تنوين فهو في مذهبنا لا يجوز، وفي مذهب قوم من النحويين يجوز، لأنهم يجيزون إضافة الشيء إذا اختلف اللفظان نحو: مسجد الجامع وجانب الغربي، وعندي أن ذلك لا يجوز إلا بشرطين، أحدهما: أن يكون الثاني معرفة مثل: طهرني بماء البارد، ومثل و(شهر رمضان)[٣]، والشرط الثاني: **أن يؤمن فيه اللبس**، وهذان الشرطان معدومان في حمار أتان، ولو عرّفت أيضا فقلت: حمار الأتان، لم يجز، **لأنه يلتبس أن يكون عيرًا لها**"[٤].

وهنا يبدو المخاطب محورًا، فاللبس الذي سيقع فيه هو الذي يمنع المتكلم من أن يضيف (حمار) إلى (أتان)؛ إذ ليس في المعنى من إضافة الشيء إلى نفسه، واللبس نفسه هو الذي يمنع من أن تكون مضافًا إليها في (حمار الأتان) إذ "إن اللغة العربية وكل لغة

(١) أمالي السهيلي ٤٥.
(٢) ينظر: أمالي السهيلي ٤٩.
(٣) سورة البقرة من الآية ١٨٥.
(٤) أمالي السهيلي ٦٣.

أخرى في الوجود تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها، لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خُلقت اللغات أساسًا للإفهام، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية"(١).

ويحضر المتكلم والمخاطب وتبرز العلاقة بينهما عند السهيلي(٢)، بشكل واضح في مسالة دلالة "أيضًا" وإعرابها في قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "آلوضوءُ أيضًا"(٣)، وتبرز تلك الملامح فيما يأتي:

١- يظهر أثر قصد المتكلم في هذا التركيب في الإعراب واضحًا، وتتعدد أوجه الإعراب بتعدد القصد، حيث ينقل السهيلي أن المتكلم لو نصب فقال: آلوضوءَ "لتعلق الإنكار بنفس الوضوء، ولكنه قال: آلوضوءُ، يريد: إفراد الوضوء والاقتصار عليه صنيعُك أيضًا!"(٤).

٢- أن الكلام عملية تفاعلية من المتكلم ومن المخاطب أيضًا، ولذلك طرح السهيلي في هذه المسألة سؤالًا نصه: من الآيض في (أيضًا) أهو المتكلم أم المخاطب؟ ثم أجاب بأن الآيض هنا هو المتكلم الذي رجع إلى المعاتبة ثم أكدها بأيضًا(٥).

٣- يعيد السهيلي سبب ورود كلمة (أيضًا) إلى الخوف من التوهم والرغبة في أمن اللبس خشية أن يُفهم أن (آلوضوء) منقطعة ومستأنفة بعد (ما بال رجال يتأخرون بعد النداء!)(٦).

وكما وظف المتكلم في النص السابق المفردة لمنع توهم معنى معين وإزالة اللبس تأتي دلالة الواو في حديث (التمس ولو خاتمًا من حديد)(٧)، وكذلك الواو في حديث (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق) (٨)، حيث تأتي الواو للدلالة على العموم، يقول السهيلي: "ولو لم يكن في الكلام الواو لكان الزنا شرطًا في دخول الجنة، **ولكن الواو حصّنت المعنى**، أي: وإن زنى وإن سرق لم يمنعه ذلك من الدخول، كما تقول: لأكرمنّك وإن شتمتني، إنما هو عطف على الجملة المتقدمة، كأنه قال: لأكرمنّك

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٣.

(٢) أمالي السهيلي ٧٩– ٨٢.

(٣) من حديث أبي هريرة: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان فعرّض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء! فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت، فقال عمر: والوضوء أيضا، ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل". (صحيح البخاري: كتاب الجمعة فضل الغسل ٣/٢ برواية: والوضوء بدل آلوضوء، وصحيح مسلم: كتاب الجمعة ٣/٣ برواية آلوضوء).

(٤) أمالي السهيلي ٧٩.

(٥) ينظر: أمالي السهيلي ٨٠.

(٦) ينظر: أمالي السهيلي ٨٠.

(٧) البخاري: كتاب النكاح – باب إذا كان المولى هو الخاطب ٧/ ٢٢.

(٨) البخاري: كتاب اللباس– باب الثياب البيض ١٩٢/٧.

على كل حال وإن شتمتني أيضًا، **لئلا يتوهم أن الكلام ليس على العموم وأن حالة الشتم مخصوصة وحالة الزنى كذلك والسرق**، فجاؤوا بواو التشريك والنسق ليدخلوا هذه الحالة نصًّا في العموم المتقدم **حتى لا يُتوهم استثناؤه**"(١).

وهكذا يراعي المتكلم المخاطب ويحرص على إزالة التوهم واللبس معتمدًا على الأدوات التي تتيحها اللغة، حيث خشي من عدم عدّ الجزء الأخير من التركيب داخلًا في إطار الدلالة المقصودة وهي العموم؛ فجيء بالواو لتأكيد المعنى عند المخاطَب.

ويرتبط صرف الوهم مع الغرض الدلالي (تأكيد المدح) في قول عائشة –رضي الله عنها –: (فتكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس)(٢)، يقول السهيلي: "فليس له وجهٌ إلا الحال، وحَسُنت ههنا **ليرتبط الكلام بما قبله، تأكيدًا لمدحه، وصرفًا للوهم عن أن يكون الممدوح بالبلاغة غيره**"(٣).

ويبقى وضوح المراد عند المخاطَب مطلبًا أساسًا في عملية التواصل عند السهيلي؛ حيث يعرض لقول عمر لحفصة: "لا تغرنكِ هذه التي أعجبها حُسنُها، حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها"(٤).

وينقل السهيلي عن القاضي المحدث أبي مروان عبدالملك بن بونة العبدري عن أبي القاسم بن الأبرش مما أملاه عنهم وكتبوه قوله: حب رسول الله هو معطوف على حُسنها، دون واو، والعرب قد تعطف على نحوٍ من هذا فتقول مثلًا: كلا تمرًا زبيبًا أقطًا، وجالس زيدًا عمرًا(٥).

وبعد أن سرد السهيلي بعض من أجازوا هذا الوجه من الكلام وما استشهدوا به بيّن رأيه في المسألة – وهو رأيٌ يجسد الاهتمام بوضوح المعنى –، يقول: "وكل ما ذكروه عندي من حذف حرف العطف لا يصح، ولا يقوم عليه دليلٌ من قياس ولا سماع؛ **لأن الحروف لو أُضمرن لم يبق ما ينبئ عن معانيها**، ألا ترى أنَّ إنَّ وأخواتها وحروف المجازاة وحروف الجر وحروف النفي والاستفهام، **لو أضمر شيءٌ من ذلك لاحتاج المخاطَب إلى وحي يُطلق على ضمير المتكلم، وأنه أرادها ونواها**، ولو جاز ذلك لجاز أن تقول: عندي درهم عشرون، وثوب دينار، واشتريت عبدًا جبة، وهذا محال"(٦).

(١) أمالي السهيلي ٩٧.
(٢) البخاري: باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٨/٥.
(٣) أمالي السهيلي ١٠٠.
(٤) البخاري: كتاب التفسير – سورة التحريم ٦/ ١٩٥.
(٥) ينظر: أمالي السهيلي ١٠٠– ١٠١.
(٦) أمالي السهيلي ١٠٢.

ويعرض السهيلي للغرض الدلالي للاستعمال النحوي، إذ يشير في حديثه عن الحال بعد اسم الإشارة في حديث (ها هو ذا جالسًا)[١]، إلى أن هناك فصلا بين هاء التنبيه وذا، حيث القياس في: ها أنا ذا هو: أنا هذا وهذا أنا، إلا أن **سياق الحال اقتضى أن يُبدأ بهاء التنبيه، لينبه بها المخاطب إلى النظر إلى المشار إليه**، ثم يبدأ بالمسؤول عنه حيث إنه اسم فيقال: ها هو ذا، أي: انظر إلى من سألت عنه فهو ذا، وقد يحدث أن يكون المتكلم هو المخاطب فيؤتى بضمير المتكلم بدلًا من ضمير المسؤول عنه، لأن المسؤول عنه هو المتكلم نفسه.

وليس بعيدًا عن هذا النمط الذي يكون فيه المتكلم هو المسؤول عنه أن يكون المتكلم ملزمًا الفعل نفسه يقول السهيلي في (مسالة في الجزم ونون التوكيد): "وأما قوله: دعني فلأضربْ، فالوجه فيه الجزم بلام الأمر، **وقد تدخل لام الأمر على فعل المتكلم، وإن كان المتكلم لا يأمر نفسه**، ولكنه إذا ألزم الفعل نفسه صار كالآمر لها، كقوله: قوموا فلأُصلِّ لكم[٢]، وكقوله سبحانه: فليمدد له الرحمن مدًّا[٣]..."[٤].

وهذا – وإن كان المتكلم ألزم فيه نفسه فعلًا معينًا– فإنه لا يعني ألا يكون هناك مخاطَب؛ فالمخاطب في مثل هذا التراكيب موجود وهو من يعود عليه ضمير المخاطب في (دعيني)، (قوموا)، (لكم).

وتتعدد المعاني والدلالات والأغراض عند المخاطب بتعدد بناء المتكلم كلامه على نحو معين ويتجلى ذلك في نص السهيلي التالي، كما يتجلى فيه أيضًا أن العلاقة بين طرفي الخطاب تكاملية وتفاعلية، وذلك في مسألة (في كسر همزة إن وفتحها) متحدثًا عن الجواب لمن قال: (عرفتُ أن زيدًا منطلق)، يقول: "فعند ذلك يجوز أن تقول له: أَوَ أنَّ زيدًا منطلقٌ، بفتح أَنَّ، لأن الواو تنوب مناب العامل، **فكأنك قلت له**: أَوَ عرفتَ أيضًا أن زيدًا منطلق، وإن كسرتَ إنَّ فهو الأصل، **كأنكَ استفهمتَ عن حديث معطوف على الحديث المتقدم، وإذا فتحتها فكأنك استفهمتَ عن الطفل الذي لفظ به المخاطب، فبهذه القرينة** يجوز فتحُها بعد الألف والواو"[٥].

وواضحٌ من النص السابق أن السهيلي يجعل من قصد المتكلم وسياق الكلام "قرينة" كما يعبر عن ذلك بهذا اللفظ ويعتمد عليها في إجازة بناء تركيب معين على نحو

(١) ينظر: أمالي السهيلي ١٠٥.
(٢) البخاري: كتاب الصلاة باب الصلاة على الحصير ١/ ١٠٦ عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال: قوموا فلأصلِّ لكم".
(٣) سورة مريم من الآية ٧٥.
(٤) ينظر: أمالي السهيلي ١١٩.
(٥) أمالي السهيلي ١٢٥.

ما أو توجيه إعرابه، وقد جسّد السهيلي من خلال بناء هذه العلاقة المتينة بين المتكلم والمخاطب الدور التواصلي وعملية الحوار في الاتصال اللغوي(١).

بقي أن يشير البحث إلى هذه المسألة اللطيفة والتأويل البديع الذي يجسد عمق النظر عند السهيلي حول سبب منع الصرف فيما هو على وزن "فَعَالِ" من الأسماء الأعلام المؤنثة المعدولة عن "فاعلة" نحو "حَذَامِ" و"رَقَاشِ" حيث يفسر حذف التنوين بأن المتكلم يقصد الإضافة إلى نفسه، يقول :"ذلك أنهم يشيرون بهذه الأسماء إلى أنهن محبوباتٌ، وكل محبوبٍ مقربٌ إلى النفس مضافٌ إليها، وترك التنوين يُشعر بهذا المعنى، ألا ترى كيف خصوه بالكسرة التي هي أخت الياء، **كأن المتكلم يريد إضافتها إلى نفسه**"(٢).

(١) يقول في (نتائج الفكر ١٧٠): "اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو بخط، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم".
(٢) أمالي السهيلي ٣٢.

الخاتمة:

وصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

- شكل المتكلم والمخاطب محورًا مهمًّا ضمن السياق الخارجي، وكانا محل عناية النحو العربي واهتمامه.
- حضر المتكلم والمخاطب عند السهيلي في "الأمالي" بصورة واضحة، وكان وجودهما تفاعليًّا وتكامليًّا.
- بيّن السهيلي أن المعنى ووضوحه محور العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وأن المخاطب لا يعمد إلى توضيح جوانب الوضع أو الصناعة النحوية ونحوهما وإنما المعنى.
- يحرص المتكلم على رفع كل أسباب التوهم ودفع جميع بواعث اللبس التي يمكن أن تصنع إشكالًا عند المخاطب أو تحول دون فهم المراد.
- يرتبط المتكلم والمخاطب بسياق الحال ويشكل هذا السياق عاملًا مهمًّا في مساعدة المتكلم والمخاطب على التواصل بمستوى فعال.
- لقصد المتكلم دورٌ واضحٌ في تشكيل بناء الجملة على نحو معين وتوجيه الإعراب على النحو الذي يجعل المخاطب يفهم المراد.
- تتعدد الوجوه الاعرابية بتعدد قصد المتكلم.
- يعمد المتكلم – عند السهيلي – إلى بناء التركيب وفق حالة المخاطَب ومدى يقينه أو شكه حول أمر معين.
- منع وجود اللبس ولو بمستوى محدود السهيلي من إجازة بعض التراكيب.
- يجب أن يحرص المتكلم على تحصين المعنى وفق عبارة السهيلي، والمقصود عدم وجود أي ملمح من ملامح اللبس.
- برزت مظاهر الفكر التداولي عند السهيلي من خلال "الأمالي".
- حفل "الأمالي" بتأويلات بديعة وتفسيرات لطيفة لعدد من المسائل المتعلقة بالمتكلم والمخاطب.

المصادر والمراجع:

- أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي، د.محمد إبراهيم البنا، دار البيان العربي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٩٠ه/ ١٩٧٠م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط٧، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.
- التعليل النحوي عند أبي القاسم السهيلي، سفيان بوزناق، مجلة جسور المعرفة، الجزائر، المجلد٤، العدد١.
- نظرية العامل وتطبيقاتها عند أبي القاسم السهيلي، فاطمة رزاق، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، العدد ٦، ٢٠٠٩م.
- تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه نتائج الفكر في النحو في ضوء علم اللغة الحديث دراسة تأصيلية، ويزة أعراب، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م.
- دلالة الألفاظ في كتاب نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي، سيدي علي بن يوب، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، ١٤٣٥-١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ – ٢٠١٥م.
- سياق الحال في كتاب سيبويه: دراسة في النحو والدلالة، د.أسعد خلف العوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٢ه/ ٢٠١١م.
- صحيح الإمام البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: د.محمد زهير الناصر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١٤، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م.
- اللغة العربية بين المنطوقة والمكتوبة، د.يحيي عبدالله الشريف، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد الأول، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة –مصر، ط٥، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

- المتكلم والمخاطب في فكر الخليل: دراسة في نحو النص، د.أيمن محمود محمد إبراهيم، ضمن بحوث المؤتمر الدولي السابع للغة العربية (دور اللغة العربية في عملية البناء الحضاري)، اتحاد مدرسي اللغة العربية بإندونسيا، ٢٠١١م.
- سياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي، حيدر غضبان الجبوري ودوهان محمد الجبوري، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد ٤/٢٠١٥م.
- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، ترجمة: د.سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره الدكتور: أزي. ونستك– أستاذ العربية بجامعة ليدن، مكتبة بريل في مدينة ليدن، ١٩٣٦م.
- من أعلام الأندلس السهيلي وكتابه نتائج الفكر، د.محمد زهار، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد ٦، مايو ٢٠٠٧م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ١٣٩٢ه.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥ه.
- النص والسياق– استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٠م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د.نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط١، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.
- وفيات الأعيان، القاضي أبو العباس بن خلكان، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة – مصر، ١٩٤٨م.